- تداخل الحقول الدلالية

تتداخل الحقول إذا ما تغيرت معاني المفردات نتيجة التطور الزمني،أو اختلاف البيئات ، أو ان يطلق على الشيء يغير مسميه مجازا، و بمرور الزمن تحتل الكلمة المعنى الجديد مما دعى لوجود معنيين لمسمى واحد أدت إلى تداخل الحقول مثلا في ديوان لبيد شعره في الجاهلية غير الذي في العصر الإسلامي إذ تهذبت بعض المقردات،

إذا نظرنا إلى التركيبة الدلالية التي تتحقق في النظم من جراء تفاعل الحقول الدلالية، و تفاعل الكلمات فيما بينها ،و بين بُؤْرَةِ المجاز والإطار المحيط بها.

ولكل مفردة معنى أساسي، وهو المعنى المعجمي الذي وضعت له أساسا، و باستعمالها وفقا لسماتها الدلالية صُنِفَت داخل الحقل الدلالي. و قد تكتسب المفردة دلالة جديدة داخل الجملة عندما تتساوق مع المفردات الأخرى، و تظهر الاستعارة عندما تتصل المفردات من حقول، بيئات فنيّة مختلفة[1]

مما يدفعني دراسة تداخل الحقول الدلالية داخل النسيج الفنِّي لشعر لبيد، و كشف نقاط التداخل بين المفردات، ومدى تفاعلها، و انسجامها في بناء الشكل العام للنص الشعري.

وفي قوله لبيد[2]:

وغدَاةَ ريحٍ قد كَشَفْتُ وقِرَّةٍ إذ أصبحَتْ بيَدِ الشَّمالِ زِمَامها

وذلك أنه جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك مُشار إليه يمكن أن تُجْرَى اليد عليه،وذلك أننا حين نحلل كلمة اليد (الجارحة، و النعمة ، والقدرة ، والبطش يعني القوة).

الشمال تمثل (رياح باردة ، و قوة ،تفرق السحاب ، أي البطش) اشتركت اليد مع الشمال في القوة و البطش فاستعار لشمال يدا، وهي ليست من معانيه ولكنه وجد سمة من السمات مشتركة فاستعارها لها وهي القوة، وأسقط باقي السمات الغير مهيمنة في الاستعارة.

---

[1]- ينظر يوسف أبو العدوس ،الاستعارة في النقد الأدبي الحديث-ط 1-1997 م -الأهلية للنشر و التوزيع- المملكة الأردنية الهاشمية -عمان ص102،و 129

[2]- لبيد ص 176 غداة:رب غداة. وزعت كففت وأزلت الجوع بالقرى. قرّة :البرد .زمامها :أمرها .

عندما يُحلل التركيب إلى دلالاته، ثم ننظر إلى مدى توافقها واختلافها، وكلما كثر التوافق صارت الاستعارة أقرب إلى الحقيقة، وكلما كثر الاختلاف صارت هناك مسافة توتر وتباين، فالعامل في تأثير الاستعارة هو المسافة بين المشبه والمشبه به، أو كما يقول سايس:(زاوية الخيال، فإذا كانت المسافة قريبة (وردة تشبه أخرى) فإن الاستعارة تكون مناسبة، ولكن دون أي صفة تعبيرية)[3]

و يؤكد آخرون أن التشابه بين الأشياء قد يوحي باستعمال مصطلحات جديدة معبرة، تتضمن فكرة التشابه والمماثلة. [4]

و هذا ما يعطينا علاقات جديدة، تتجاوز الدلالة المباشرة فكل كلمة تتغير قيمتها الدلالية عندما تستخدم بصورة مجازية وتتحول من مجال إلى مجال، فتكتسب في موقعها الجديد درجة أعلى من الوضوح لأنها تسترعي الانتباه في سياقها الجديد.[5]

و من شعره [6]

وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلامِ مُنِيرَةً كَجُمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا

البقرة لشدّة بياضها نقل الشاعر من حقل صفات اللون الأبيض إلى حقل المصنع وشبهها بالدرة الصدف البحري في تلألؤه، و عند مواجهتها للظلام شبهها بخيط الدر الذي سُلَّ نظامه ليوحي الى عدم استقرار الحياة

الاضاءة رمز بها البقرة لشدة بياضها رمز بها تلألؤَ الدرة و العرب ترمز في تعبيراتها بالأبيض للفضة و للنهار؛[7] اشتركت البقرة و الدرة في البياض لتعطي صورة مجازية انتجت انسجاما بين الحقول الدلالية لما أوحت إليه و عبرت عن ما يجول في نفسية الشاعر، و كأنه يريد أن يعبر عن انتمائه لعرق الطهر، و النقي. [8]

---

[3]– يوسف أبو العدوس ،الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ص 11 .

[4]– ينظر : دور الكلمة في اللغة 159، و علم الدلالة العربي 264.

[5]– محمود فهمي حجازي الأسس الدلالية في تحليل النصوص العربية . بحث منشور ضمن كتاب النصوص الأدبية دراسة وتحليل– قطر – ط1 – 1983م.ص 224

[6] – ينظر شرح المعلقات ص101 تضيء: البقرة من شدة بياضها الإضاءة والإنارة ، يتعدى فعلهما ويلزم، وهما لازمان في البيت. وجه الظلام: أوله و كذلك وجه النار. كجمانة، الجمان: اللؤلؤُ الصِّغارُ. سلَّ نظامها: بمعنى خرجت عن نظمها مع باقي الجمان–

[7]– ينظر أحمد مختار عمر، اللغة و اللون –ط1–1982 م –عالم الكتب للنشر و التوزيع – القاهرة ص 69

[8]– ينظر المصدر نفسه

و في قوله [9]

صادَفْنَ منهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إِنَّ الْمَنَايَا لاَ تَطِيشُ سِهَامُهَا

صادفت البقرة و هي في غفلة الكلابَ أو الذئاب افترسوا ولدها، أي وجدتها غافلة عن ولدها فاصطادته، ثم قال: وإن الموت لا تطيش سهامه، أي لا مخلص من هجومه، واستعار له سهاما واستعار للإخطاء لفظ الطيش، لأن السهم إذا أخطأ الهدف فقد طاش عنه.

حقل الموت ربطه بالقاتل و المحارب بالسهام أسقط عنها صفة الطيش لتحقق الكلاب مبتاغاها وليوحي الشاعر إلى القدر المحتوم ليعطي انسجاما بين الحقول

في بيت آخر [10]

أُخبّرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ أدبُ كأنّي كُلّما قمتُ راكعُ

يخبر الشاعر عن القرون الماضية و يصف حله و هو هرما و صفا نفسه بالراكع مشيرا إلى انحناء ظهره ،و الركوع خصّت جزء من الصلاة استخدام مجازي ، فأنتج انسجام بين حقل الزمن و حقل الصفات البشرية لأنها تتلاقى و تشترك في حقل الزمن لان الصفات دلت على الكبر، و بالتالي مرور قرون

قال لبيد [11]

ومَا المرْءُ إلاَّ كالشِّهابِ وضَوْئِهِ يحورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ

عن الشاعر المرء كالشهاب يضيء ، فهو كائن حيٌّ يملأ أسماعَ الدنيا بأفعاله، و أقواله، فيلمع اسمه بذكر و جريانه على كل لسان؛ لكن بعد وفاته تختفي صورته و ينطفئ لمعانه و يحور رمادا صورة حسّية يمثل بها الشاعر صورة أخيه ، جمع بين حقل النار مثله ب (الشهاب، و الضوء، و الرماد ساطع) و حقل البشر تشبيه مجازي نتج عنه انسجام بين الحقول لدلالية .

---

[9]– لبيد ص **171** الغرة: الغفلة. تطيش: الطيش لا تخف و لا تخطيء

[10] – ينظر لبيد ص **89** –أَدِّبُ : مشية الشيخ الهرم ، راكع : بسبب الانحناء من كبر السن

[11] – ينظر لبيد ص **88** الشهاب:النار. ساطع : مشتعل